اليزيدية او عَبَدة ابليس

اليزيديّة فرقة من الاكراد الخوارج يدينون بدين من اغرب اديان البشر. وقد اتفق لاحد العلماء وهو الدكتور بروسكي ان عاشرهم واطّلع على كتابهم وهو امرٌ لم يُسبق اليهِ فكتب فيهم ما يأتي ملخّصًا

من اول فرائض اليزيديّة كتم عقائدهم عن كل احد ولذلك لا يطّلع على اسرار ديانتهم الاّ شخص واحد وهو كبير قبيلة حسن البصري ويُعلّم اللغة العربية استعدادًا لاستلام اسرار الديانة (ومَن يتعلم العربية غيرهُ فجزاؤهُ القتل في الدنيا والعقاب في الآخرة) . ويناط تعليمهُ برجلٍ من النصارى المؤتمنين فيعلمهُ القرآن الشريف وهو الكتاب العربي الوحيد عندهم . والنسخة التي يعلمهُ فيها طمست منها كل اسماء الشيطان لانهُ لا يحلُّ ليزيدي ان يلفظ اسمًا من اسماء الشيطان على الاطلاق . واذا اتفق ان تُرك اسم بلا طمس ووقعت عليهِ عين القارىء اغلق الكتاب حالاً وطرحهُ في النار وأتى اليهِ بنسخةٍ أُخرى . وهو يُعلّم القرآن في غرفةٍ منفردة لا يدخل اليها احد غيرهُ وغير معلمهِ ومتى اكمل تعلمهُ طرحهُ في النار

وعندهم كتاب ملفّق يدّعون انهُ منزل وليس عندهم منهُ الاّ نسخة واحدة وهي في بيت زعيمهم المولى حيدر وهي النسخة التي اطلع عليها الدكتور بروسكي واستنسخها

ويدّعي اليزيدية ان عددهم ثلاثة ملايين نفس ولا يجوز لهم سكنى المدن فيسكنون القرى الصغيرة وبعضهم منتشر في جهات دمشق وحلب وديار بكر واكثرهم في جهات الموصل واروان ولهم امير من سلالة الشيخ عادي مبتدع فرقتهم وهم يخضعون لهُ جسدًا ونفسًا ويرفعون اليهِ الجزية وهو يعتني بمعبد الشيخ عادي وقبرهِ . والامير الحالي مرزا بك بن حسين بك وكان لحسين بك ثمانية اولاد ومرزا ثالثهم والخلافة للبكر ولكن مرزا اختلس الخلافة منهُ وخضع للدولة العلية على مالٍ يدفعهُ لها كل سنة . وخضوع اليزيدية لهُ ضرب من العبادة لانهم لا ينكرون عليهِ شيئًا يطلبهُ منهم . وهو يقضي بينهم كيفما شاء ولكراهتهم للمسلمين لا ينتظمون في سلك الجنود العثمانية فيدفعون للدولة مالاً بدلاً من ذلك . وهم من الغدر على جانبٍ عظيم لا يكرمون ضيفًا ولا يراعون جوارًا والذي يعاشرهم في خطرٍ دائم منهم لانهُ اذا تلفظ باسمٍ من اسماء الشيطان ولو عَرَضًا

حلّ لهم بل وجب عليهم سفك دمه . ولاستنكارهم من لفظ كلمة شيطان الغوا من لغتهم كلمات كثيرة مبدوءة بحرف الشين ونحوها من الحروف التي في اسماء الشيطان

ومعبد اليزيدية الذي يحجون اليه قبر الشيخ عادي واصلة من معابد الكلدانيين وقع في قبضة اليزيدية في القرن العاشر . وهو في وادٍ كثير الاشجار والرياحين يجري فيه نهر سمسن الآتي من القدس الشريف على زعمهم جاريًا تحت الارض . وعلى كل يزيدي ان يعتمد في هذا النهر ويغتسل كفنه فيه لكي يكون على ثقة من دخول الفردوس الذي وعد به الشيخ عادي اتباعهُ . وهنا مقام الشيخ الاكبر الذي له السلطة الاولى بعد الامير وهم يتبرّكون به لشفاء امراضهم ونجاح اعمالهم . وعندهم رئيس ثالث وهو المولى حيدر من سلالة الامام حسن البصري وهو المؤتمن على كتابهم ذي السبعة الاختام

وفي غرفةٍ من غُرَف هذا المعبد ست صوَر نحاسيّة مسبوكة سبكًا وهي صور ديوك ثقال واحدة منها سبع مئة ليبرة (رطل) والبقيّة اصغر منها وقد كانت هذه الصور سبعًا فاختفت واحدة منها ولا يُعلَم كيف اختفت . وهناك كتاب اليزيدية وهو مكتوب بالعربية والارجح ان حسن البصري تلميذ الشيخ عادي كتبهُ في اواخر القرن العاشر للميلاد . وهو مقسوم الى قسمين الاول يتكلم عن الخليقة ويوافق التوراة في بعض فصولهِ ويتكلم عن ماضي اليزيدية ومستقبلهم وفيهِ اغلاط كثيرة في تقرير الحوادث وذكر التواريخ . والثاني وهو احدث من الاول يشرح فرائض اليزيدية وشعائرهم وفيهِ كلمات كلدانية دلالة على ان احد السلاطين ساعدهم في تأليفهِ او الفهُ لهم . ومما جاء في هذا الكتاب ان الظلمة كانت تشمل الكون قبل ان خلق الله السموات والارض فنضب من الزفرقة على المياه وخلق ببغاء ونسلى به اربعين سنة ثم اغتاظ منهُ وقتلهُ فتكونت الجبال والاودية من ريشهِ والجوّ من انفاسهِ . ثم صمد الله وخلق الجلد الجاف وعلقهُ بشعرة من رأسهِ . وبعد ذلك خلق سنة آلهة أخرى من جوهرهِ كما تنفصل ألسنة النار منها . وهذه الآلهة السنة هي الشمس والقمر والفجر والشفق ونجم الصبح وبقيّة النجوم والدراري السبع . وصنع كل اله فرسًا يركب عليها ويقطع بها الفضاء وكلها تتكلم باللغة الكردية وهي لغة الفردوس

واجتمع الآلهة السبعة وخلقت الملائكة وحدث ان الملاك الذي خلقهُ الاله الاول ترفّع على سيدهِ فطرحهُ في جهنّم فجعل يبكي ويتحسب نادمًا على ما فرط منهُ وبقي على ذلك سبعة آلاف سنة وملأ بدموعهِ سبع جرار كبيرة فشفق الله الرحيم عليهِ وردّهُ الى الفردوس فاصلح سيرتهُ وسريرتهُ حتى احبهُ الله اكثر من كل الملائكة . واسماء

الملائكة منهُ وعيَّروهُ بسقطتهِ وسمعهم الله فاغتاظ منهم وقال لهم ملعون كل من يغبط هذا الصغير والله قد برَّرهُ فالخلائق لا تلومهُ. ورفَّعهُ اليهِ حتى جعلهُ رئيسًا على كل الملائكة وسمَّاهُ ملك طاووس وقرنهُ بذاتهِ كما تتحد ناران فتصيران واحدة. والجرار السبع التي ملأها بدموعهِ وهو في جهنم حُفظت الى ان يرجع الشيخ عادي من الارض فتطفأ بها نار جهنم

والاله السابع خلق الحيوانات واحدًا بعد الآخر مشتتًا بعضها من بعض وفي آخرها خلق آدم وحواء فتكاثرت ذريتهما في الارض عشرة آلاف سنة ثم ابادتهم الارض وبقيت خربة خالية عشرة آلاف سنة ولم يكن فيها غير طوائف الجن. وتكرَّر الخلق خمس دفعات متوالية وكل مرَّة يخلق آدمٌ وحواء ثم تنقرض ذريتهما. وفي الآخر قام الاله الاوَّل مع ملك طاووس وخلق آدم جدَّ البشر الموجودين الآن ثم خلق حواء بعد خروج آدم من الفردوس ولما كان آدم في الفردوس سُمح لهُ ان يأكل من كل اثمارهِ الاَّ من القمح. ثم قال ملك طاووس لله لقد خلقت آدم ليعمر الارض وهو لم يزل في الفردوس والارض خالية فقال الله اصبتَ فافعل ما ترى فذهب ملك طاووس الى آدم وجعلهُ يأكل القمح المنهي عنهُ فطرد من الفردوس جزاء لذلك. وعزم الله ان يجعل لآدم رفيقًا فخلق حواء من اضلاعهِ وولدت لهُ مئة واربعة واربعين ولدًا وكلهم توائم. واليزيدية ليسوا من هؤلاء الاولاد بل من ولد اعطاهُ اياهُ الله باعجوبة اسمهُ الشهيد بن جبار ولدتهُ حوريَّة من حور الجنان ولذلك لا يختلط اليزيدية باولاد آدم وحواء. واسم بكر الشهيد بن جبَّار يزداني واسم حفيدهِ نوح المدعو ايضًا ملك سالم واسم بكرهِ مرج مهران وهو ابو اليزيدية. واولاد حواء يكرهون اليزيدية لانهم يكرمون ملك طاووس وهو اخرج اباهم من الفردوس على ما تقدم

ولما كان نوح يبني الفلك استعدادًا للطوفان كان ابناء حواء يهزأون بهِ. ولما استقرَّت الفلك على جبل سنديار التطمت الصخر فانشقت فادخلت الحية ذنبها في الشق وسدَّتهُ. فكثر نسل الحيَّة بعد الطوفان حتى اضرَّ بالناس فقبض نوح على واحدة منها وطرحها في النار فاحترقت وصارت رمادًا وتكوَّنت البراغيث من رمادها

ويتلو ذلك قصص كثيرة من التوراة والانجيل والقرآن وهي مخلوطة خلطًا ومحرَّفة غاية التحريف وفيها سيرة المسيح والامهِ

ومن ابطال اليزيدية في زعمهم يزيد بن معاوية ويقال في هذا الكتاب انهُ جمع

كل كتب المسلمين وامر بها ان تطرح في البحر ولعن كل من يقرأ او يكتب حرفاً من اللغة العربية الاّ باذن خاص. وعاش في دمشق ثلثمئة سنة بعد ان تغلّب على الحسن والحسين ثم صعد الى السماء وبعد صعودهِ قويت شوكة المسلمين واضطهدوا المؤمنين (اي اليزيدية) فأرسل يزيد ثانيةً لنجدتهم وظهر هذه النوبة باسم الشيخ عادي فاجترح العجائب والمعجزات وآمن بهِ الخليفة وحسن البصري. وطرد رهبان النصارى من لايش وجعلها كعبة ديانتهِ. واليهود والنصارى والمسلمون يلعنون ويجدفون بحسب ما تعلمهم كتبهم وهم عميان وقساة ولا يعلمون ان الله ينزل من السماء كل الف سنة ليعاقب المجدفين وينكرون اسم الشيطان يعنون بهِ ملك طاووس الطاهر المتحد بالله وقد اخترعوا له هذا الاسم لتعييرنا. ولا يجوز لنا ان نتلفظ بكلمة مثل قيطان وشد ونعل ولعل ومن تلفظ بهذه الكلمات فقد كفر واستحق ان يموت وتدخل نفسهُ في جسم كلب او حمار ولذلك حرّم الله علينا قراءة الكتب العربية لان مثل هذه الكلمات كثير الورود فيها. والتوراة والقرآن لم يكن فيهما شيء منها ولكن الاشرار زادوها فيهما

والشيخ عندهم بالارث وشيخهم الاوّل الامير ثم الابيار ثم جمهور المشايخ وليس لهؤلاء وظيفة خاصّة بهم ولكنهم يصلون لشفاء الامراض ويكسرون الخبز في الاعراس. والكواشك الذين يرقصون في الاعياد والكوالين الذين يحرسون الصور المقدسة ويلعبون على آلات الطرب والفقراء الذين يعيشون من الصدقات وكل هؤلاء يرخون شعورهم ولا يتزوج الفريق منهم الاّ من بنات فريقهِ

وعندهم سنجق يدّعون انهُ اتصل اليهم من الملك سليمان الحكيم واعطاهُ يزيد للكوالين ليحرسوهُ وهم يتسابقون الى حراستهِ فيعطى للذي يدفع المقدار الاكبر من المال وهو يغطه في الماء ويجبل بهذا الماء قليلاً من تراب الشيخ عادي ويصنعهُ حبوباً يعطيها للمؤمنين وكل من ابتلع حبّة من هذه الحبوب حفظتهُ سنة كاملة نفساً وجسداً بنعمة ملك طاووس. ويطاف بالسنجق في احيائهم ويطوف الناس حولهُ سبع مرات وهم يفرغون صدورهم ويطلبون غفران خطاياهم والذين يطوفون بهِ يجمعون الهدايا من الناس ويأتون بها الى المعبد

وقبر الشيخ عادي كعبة اليزيدية كما تقدم وفيهِ يجتمع الامير والمشايخ في بداءة فصل الخريف ويسألون ملك طاووس عمّا اذا كان يريد ان يعيدوا لهُ تلك السنة فاذا اجابهم بالايجاب اشاعوا الخبر في محلاتهم فيجتمع الوف منهم عند قبر الشيخ في مدة

اثنين وعشرين يوماً وفي اليوم الثالث والعشرين يخرج الشيخ الكبير من كهفهِ ويجلس على حجر ويجيء الشعب وعلى كل شخص ناهز الثلاثين ان يأتيهُ بشيء من قطعانهِ حسب استطاعتهِ . ثم يخرج المشايخ ويجلسون مع الامير على دكة مرتفعة ويجتمع معهم بقية الرؤساء حتى يبلغ عددهم اربعين . ويسلمون ثوراً في مرجل كبير من الصباح الى المساء ثم يدعو الامير بعض الشبان ليرفعوهُ من المرجل فيغطون اذرعهم في المرق ويرفعون الثور فتحترق ايديهم وهم غير مبالين ومَن مات منهم بسبب ذلك عُدَّ من الاولياء . وكل واحدٍ من الحضور يحسو قليلاً من المرق ويدفع بهِ بشلكاً . وتدوم الولائم ثلاثة ايام ثم يغتسل كل المؤمنين في نهر سمسن وبعدهم المؤمنات نساء وبنات . وتخرج ثلاث من الصوَر وتغسَل في النهر وتصعد بجانب السنجق ويطوف المؤمنون حولها ويأخذون من التراب الذي بجانبها يتبرَّكون بهِ ويندمون تقدماتهم وهكذا ينتهي العيد

ويتم عقد الزواج عندهم بان يكسر الشيخ رغيف خبز ويطعم منهُ للعريس والعروس ولا يجوز لهم الزواج في شهر ابريل (نيسان) ولا يوم الاربعاء ولا يوم الجمعة . ولانسباء الارملة حق في اجبارها على الزواج الى المرَّة السادسة ولها ان تبتاع حرَّيتها بان تدفع لذويها مقدار المهر الذي يدفعهُ مَن يطلبها

وعندهم ان نفوس المؤمنين تصعد الى الفردوس بعد مفارقتها للابدان وتقيم هناك مع الآلهة السبعة وملك طاووس والاولياء . والشيخ عادي حارس باب الفردوس . ونفوس الكافرين واليزيدية الخطاة تتقمَّص في اجساد الحمير والبغال والكلاب . وحينما يموت واحد منهم يملأون فمهُ بتراب من قبر الشيخ عادي ويدفنونهُ حيث يقول لهم احد المشايخ او الكوالين . ويضعون الميت في قبرهِ ووجههُ الى المشرق ويذرون عليهِ من زبل الغنم ثم يطمرونهُ بالتراب ويقيم النساء يبكينَ ويندبنَ ويقرعنَ صدورهنَّ ويتفنَ شعورهنَّ مدة ثلاثة ايام . ويقرينَ مَن يَرِدُ بهنَّ صدَقةً عن نفس الميت ثم يعود الجميع الى بيتهِ ويرقص بعضهم رقصاً عنيفاً ويتغنون بمدح الملك طاووس الى ان يتراءى لهم علانيةً فيقعون على الارض لا حراك بهم وذلك علامة على ان نفس الميت قد دخلت الفردوس . ثم يختمون المأتم بوضيمة (وليمة الموت) فاخرة

واذا كان لوالدٍ ولد شقي لا يترك لهُ اموالهُ بل يدفنها قبل موتهِ في مكان لا يعلم بهِ ابنهُ حتى اذا وُلد ثانيةً يحفرها من الارض

ومن اعيادهم الكبيرة عيد رأس السنة وهو يقع يوم الاربعاء الاول بعد الاعتدال

الربيعي فانهُ في هذا اليوم يجمع الله كل مَن سيُ الفردوس ويبعثهم الارض في السنة التالية بالمرايدة فمَن زاد في عُمرها اكثر من غيرهِ استولى على امور الناس تلك السنة وسُمّي رجُل السنة واصاب الناس بالخصب والصحة او بالجدب والمرض كما شاء

ويقولون ان الشيخ عادي صار نبيًّا على هذه الصورة وهي انهُ كان في السنة العشرين من عمرهِ راكبًا في احدى الليالي في ضوء القمر فخرج امامهُ من الارض جملان رأسها كرؤوس الجواميس ووبرها كالشوك وعيونها خضراء برّاقة وجلدها اسود ان وكان خروجها بقرب قبر ابي ريش فارتفع القبر رويدًا رويدًا حتى صار كالمأذنة واخذ يرتجف فخاف الشيخ عادي وكان بجانبهِ كوز ماء فوقع وتراءى لهُ حينئذٍ ولد صبوح الوجه لهُ ذنب كالطاووس فقال لهُ لا تخفْ فان المأذنة ستقع وتخرب الارض ولكن انت والذين يتبعونك لا يتضررون بذلك بل يملكون الارض . انا ملك طاووس وقد اخترتك لنشر دين الحق في الدنيا ولما قال ذلك اخذ نفس الشيخ عادي الى السماء فبقيت فيها سبع سنوات تتعلّم وتتهذّب وبقي جسدهُ مرتاحًا بقرب قبر ابي ريش ثم رجعت نفسهُ اليهِ من السماء قبل ان يبلغ ماء الكوز الارض . انتهى

المرحوم سمعان كرَم

كُنْ محسنًا مهما استطعتَ فهذه الـــدنيا وان طالتْ قصيرٌ عمرُها
انَّ المآثرَ في الورى ذريّةٌ يفنى مؤثرها ويبقى ذكرُهـــا
فترى الكريمَ كشعلةٍ من عنبرٍ ضاءت فان طفئت تضوّع نشرُها

للهِ في خلقهِ سرٌّ عجيب فانك بينما ترى الناس متماثلين في مقوّمات نوع الانسان ترى كلاًّ منهم يختلف عن الآخر بما يميزهُ عن ابناء نوعهِ . وهذان الناموسان اي ناموس التماثل بين افراد النوع الواحد في مقوّمات النوع وناموس التخالف في ميزات الفرد يشملان جميع المخلوقات الحية ولا سيما نوع الانسان

وكما يختلف الناس في الهيئة يختلفون في الهمم فبعضهم خُلق ليسود وبعضهم ليُساد . بعضهم ليقود وبعضهم ليُقاد . بعضهم ليفيد ابناء نوعهِ ويستأثر بمدحهم وشكرانهم وبعضهم ليعيش لنفسهِ او لمضرّة غيرهِ . والكرام قليل عددهم في كل زمان ومكان ولكنْ لا بدَّ منهم لاصلاح الاجتماع الانساني وتوطيد دعائم العمران . ويمكن ان يقاس عمران شعب